جامعة زيان عاشور – الجلفة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

المستوى: جذع مشترك أولى علوم إنسانية

المقياس: تاريخ الحضارات القديمة

إعداد: د/ أحمد ثليجي

الحضارة مفهومها وعوامل قيامها

الحضارة مفهومها وعوامل قيامها

تمهيد:

لقد شهد العصر الحديث قيام لون من الدراسات والمناهج العلمية تتجه لتفسير حركة التاريخ الإنسانية وحضاراتها المتعددة، وفقا لمذاهب علمية وضع أسسها أفراد. وهذه المذاهب هي ثمرة جهد علمي دؤوب يدل على مثابرة أصحابها، وميلهم إلى إعمال عقولهم في الحياة والكون من حولهم وهي تبحث في عوامل التحضر بشتى صورها: المادية والروحية والاجتماعية والاقتصادية.

وقد بحث الناس كثيرا في أصول الحضارات، وكيف نشأت، وما هو الشيء الذي يكوّن ذاتية الحضارة وطابعها المعروف؟، وما هي التطورات التي تميز مرحلة عن الأخرى؟ ثم ماهيتها التي تستمر خلال مراحل وجودها المتتالية.

إن المفكرين والفلاسفة اليونانيين كانوا يرون أن مكتشفات الحضارة كلها ترجع إلى الذكاء الإنساني وحده دون أن يفسحوا المجال للتجربة أو للظروف التي تحفز على الكشف والاختراع وكانوا يرون أن آلهتهم خصتهم من دون البشر بالتفوق في ميدان الفهم والعلم والاختراع والابتكار وكل ما عداهم من البشر بربري لا حضارة لهم أو على مستوى متدني من الحضارة.

أما المسلمون فغالبية مفكريهم يرون أن الله أعطى الإنسان العقل والفكر والحكمة، وأنه اهتدى بعقله إلى أسس الحضارة أو العمران وسار في معارج التقدم، ولكنهم كانوا يرون إلى جانب ذلك أن الله دلّ الإنسان على ما ينفعه رحمة منه ورفقا به.

1- تعريف الحضارة:

أ- لغة: لقد عرف العرب من قديم المقابلة بين الحضر والسفر وهو التنقل والترحال، فكأن المقابلة بين الحضارة والبداوة، هي مقابلة بين الاستقرار والتنقل، وقد كان يوصف أهل الحضر بأنهم أهل "المدر" وهو قطع الطين المتماسك، أو أهل الحجر لأنهم يسكنون بيوتا متينة ثابتة، خلافا لأهل "الوبر" الذين يسكنون الخيام من وبر الإبل أو صوف الغنم أو شعر الماعز.

وقد قال ابن منظور في لسان العرب: الحضر: خلاف البدو، والحاضر: المقيم في المدن والقرى. والبادي: المقيم في البادية. والحضارة: الإقامة في الحضر.

كما أشار كذلك إلى نفس المعنى الفيروز آبادي في القاموس المحيط: " بأن الحضارة هي الإقامة في الحضر".

وبهذا فإن اللغويين قد اتفقوا حول لفظة "حضارة" وأصلها وإجماعهم على أنها ضد البداوة، وتحمل مظاهر العمران بالسكان والرقي الحياتي من علوم وفنون وآداب.

أما الحضارة في اللغة الأجنبية ف هي ترجمة للفظة الإنجليزية "Civilization" ، والتي يعود أصلها إلى عدة جذور في اللغة اللاتينية؛ "Civilties" بمعنى مدنية، و "Civis" أي ساكن المدينة و "Cities"وهو ما يُعرف به المواطن الروماني المتعالي على البربري. ولم يُتداول الاشتقاق "Civilization"حتى القرن الثامن عشر، حين عرفه دي ميرابو في كتابه «مقال في الحضارة» باعتباره رقة طباع شعب ما وعمرانه ومعارفه المنتشرة بحيث يراعي الفائدة العلمية العامة .

ب- <u>اصطلاحا</u>:

أما عن التعريف الاصطلاحي فنجده في القواميس الفكرية والموسوعات وعند الكثير من العلماء والمفكرين القدامى والمحدثين.

فقاموس الحضارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية (سامي ذبيان وآخرون) يشير إلى أن الحضارة هي مجموعة معقدة من الظواهر الاجتماعية ذات طبيعة قابلة للنقل، تضم طابعا دينيا وخلقيا وجماليا وتقنيا وعلميا مشتركا بين جميع أجزاء مجتمع واسع أو عدة مجتمعات متصلة.

أما الموسوعة السياسية (عبد الوهاب الكيالي وآخرون) فإنها ترى أن " الحضارة هي مجموعة المنجزات الفكرية والاجتماعية والأخلاقية التي يحققها مجتمع معين في مسيرته لتحقيق الرقي والتقدم".

<u>الحضارة عند ابن خلدون</u>:

- **<u>ابن خلدون</u>(1332-1406م)**:هو عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مؤرخ ومؤسس علم الاجتماع، تونسي المولد، تنقل بين المغرب والأندلس ومصر، وشغل العديد من المناصب من كاتب وأمين سر الدولة، إلى قاضي إلى رئيس وزراء، وترك العديد من المؤلفات والكُتب التي لا زالت معروفة حتى يومنا هذا، ومن أهمها ما يلي: مقدّمة ابن خلدون: وهو الاسم المعروف للجزء الأوّل من كتابه العِبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. وتقوم المقدّمة على تحليل الأحداث التاريخية من خلال دراسة عدة أمور تتمثل في طِباع البشر، وأنظِمة الحُكم،

والعمران. والكتاب مقسم إلى سبعة أجزاء، وقد اعتُبر تحفة نادرة في آداب فلسفة المجتمع والتاريخ، حيث تُرجم للعديد من اللغات الأخرى.

- **مفهومه للحضارة:**

يرى عبد الرحمان ابن خلدون : "أن الحضارة هي نمط من الحياة المستقرة ينشئ القرى والأمصار ,ويضفى على حياة أصحابه فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة , وإدارة شؤون الحياة والحكم , وترتيب وسائل الراحة وأسباب الرفاهية".

كما يشير في مقدمته إلى: " أنّ الناس حين تخطَّوا في كسبهم للمعاش ما هو ضروري وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنُّق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضُّر".

ويضيف ابن خلدون: " ثمّ تزيد حالة الرفه والدعة فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغها في التأنّق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك ومعالاة البيوت والصروح وإحكام وضعها في تنجيدها والانتهاء في الصنائع في الخروج من القوّة إلى الفعل إلى غايتها فيتّخذون القصور والمنازل ويُجرون فيها المياه ويعالون في صرحها ويبالغون في تنجيدها ويختلفون من استجادة ما يتّخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون. وهؤلاء هم الحضر، ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان".

كما نجد عند ابن خلدون " أن الملك زائد على الرئاسة، وأن الحضارة زائدة على الضروري من العمران، وأن الترف زائد على الحضارة" .

الحضارة عند مالك ابن نبي:

- **مالك بن نبي (1905-1973م):** ولد في قسنطينة، ويعتبر أحد رواد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين، كما يعتبر فقيه الحضارة، وأحد أبرز المهتمين بمشكلاتها، وقد ألف سلسلة كتب تحت عنوان " مشكلات الحضارة" بدأها بباريس ثم تتابعت حلقاتها في مصر والجزائر، ومن أهمها : الظاهرة القرآنية، شروط النهضة، وجهة العالم الإسلامي، الفكرة الإفريقية الآسيوية، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي...

- **مفهومه للحضارة:**

إن قيام أي حضارة عند مالك ابن نبي لا يكون إلا بتوفر " مجموع الشروط الأخلاقية والمادية

التي تتيح لمجتمع معين أن يقسم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه.

وعلى هذا فالحضارة هي نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تدخل به التاريخ، ومن هذا المنطلق فإن معنى التحضر هو أن يتعلم الإنسان كيف يعيش في جماعة، وأن يدرك شبكة العلاقات الاجتماعية في تنظيم الحياة الإنسانية من أجل وظيفتها التاريخية، كما أنها جملة العوامل المعنوية والمادية التي تت يح لمجتمع ما أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره.

عناصر الحضارة عند مالك بن نبي :

إن المفكر ابن نبي عندما جاء إلى تعريف الحضارة، طبق عليها آليتين أو منهجين متكاملين:

أولاً: المنهج التحليلي، إذ حلل الحضارة إلى عناصرها الأولية التي تعتبر الرأسمال الأولي، وصاغها في شكل معادلة رياضية ذات متغيرات ثلاثة هي الإنسان والتراب والوقت، وقوامها:

إنسان+تراب+وقت=حضارة.

ثانيًا: المنهج التركيبي، الذي من خلاله أراد أن يكتشف القانون الذي تخضع له الحضارة في بنائها، وتحديد المنهج الذي تخضع له الحضارة باعتبارها بناءً، وهو ما أسماه بقانون التفاعل، إذ العناصر الأولية تبقى ساكنة ما لم تتدخل الفكرة المركِّبة، محدثة الشرارة الروحية التي تجعل من العناصر الأولية ديناميكية متحركة في إطار التاريخ.. هذه الفكرة المركبة التي تحدث الشرارة هي الدين، أو الفكرة الدينية.

إذن فالعناصر الضرورية التي تتشكل منها كل الحضارات –حسب مالك بن نبي– هي ثلاثة: الإنسان + التراب + الوقت.

الحضارة عند حسين مؤنس:

- **حسين مؤنس (1911–1996م):** هو مؤرخ مصري ولد بالسويس، وتلقى تعليمه الجامعي بجامعة القاهرة، وتحصل على شهادة الدكتوراه بجامعة زيوريخ بسويسرا، وتقلد العديد من المناصب داخل مصر وخارجها، ويعتبر من أعلام النهضة الفكرية والأدبية، ترك العديد من المؤلفات من بينها: الحضارة، تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي ، أطلس تاريخ الإسلام، و معالم تاريخ المغرب والأندلس.....

- **مفهومه للحضارة:**

يرى مؤنس أن الحضارة "هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته .. سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة، مقصوداً أم غير مقصود .. وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية"..

وهذا المفهوم للحضارة مرتبط أشد الارتباط بالتاريخ، لأن التاريخ هو الزمن، والثمرات الحضارية التي ذكرناها تحتاج إلى زمن لكي تطلع، أي أنها جزء من التاريخ، أو نتاج جانبي للتاريخ فلا بد أن يتكاثر صنع الشيء ويتراكم حتى يكون له أثر في حياة الإنسان، ويصبح جزء من هذه الحياة، فإذا صنع الإنسان شيئا ثم رمى به وتركه، ولم يعرف كيف يستفيد منه لم تكن له قيمة حضارية.

الحضارة عند ول ديورانت:

- **ول ديورانت (1885-1981م):** فيلسوف ومؤرخ وكاتب أمريكي، م ن أشهر مؤلفاته كتاب قصة الحضارة والذي شاركت زوجته أريل ديورانت في تأليفه ، وكذلك قصة الفلسفة، والفلسفة والمسألة الاجتماعية.

- **مفهومه للحضارة:**

يرى ول ديورانت : "أن الحضارة هي نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في إنتاجه الثقافي، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها".

الحضارة عند أرنولد توينبي:

- **أرنولد توينبي (1889-1975م):** يعتبر من أشهر المؤرخين في القرن العشرين، وقد بحث كثيرا في مسألة الحضارات، ومن أشهر أعماله موسوعته التاريخية "دراسة للتاريخ" " A Study of History"، و تاريخ البشرية.....

- **مفهومه للحضارة:**

من أبرز الخائضين الغربيين في هذا المجال المؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي (A.Toynbee) الذي ركز على أصل الحضارة ومنشئها، فقدم نظرية متفرِّدة في هذا الس ياق هي نظرية "التحدّي والاستجابة"، أوما نستطيع التعبير عنه بنظرية "الفعل وردّ الفعل (Action et ")

.(réaction فالحضارة ،في تصوره، لا تنشأ إلا ردّ فعل لعوامل خارجية أو داخلية ولتحديات بشرية أو طبيعية.

فهو يرى في تعريفه للحضارة بأن السلوك الإنساني الذي ينتج الحضارة، هو استجابة لتحد من ظروف الطبيعة الذي يكون هو المثير والدافع والحافز للإنسان كي يتغلب على ما يواجهه، ومن ذلك عوامل في طبيعة الإنسان نفسها، مثل حاجاته للطعام والشراب والدفء والاستقرار والأمن، وهناك منافسة الإنسان الآخر على ذلك، ثم ما يكون من قصور ظروف بيئته المادية عن تلبية هذه الحاجات، وهكذا ترجع الحركة التاريخية إلى نوع من التفاعل بين الإنسان والبيئة، وتكون الحضارة هي ثمرة تحدي الإنسان لبيئته ونوع استجابته لها.

ولم يصغْ توينبي هذه النظرية إلا بعد أن درس مجموعة من التجارب الإنسانية الحضارية في الشرق والغرب معاً؛ ومن أهمها حضارتا اليونان والرومان، والحضارتان السومرية والفرعونية. فقدماء المصريين مثلا مروا بظروف حياتية عصيبة بسبب قسوة الطبيعة في الجنوب المصري (قلة الكلأ– انتشار الجفاف...)، مما جعلهم يتحركون طلباً لأماكن أخرى تتوفر فيها أسباب العيش وشروطه، فقصدوا النيل الأوسط والأعلى، وبذلوا جهودا معتبرة هناك، وأقاموا حوله حضارة قوية دامت مئات السنين.

<u>الحضارة عند أوسفالد شبنجلر</u>:

- **<u>أوسفالد شبنجلر</u> (1880–1936م):** هو مؤرخ وفيلسوف ألماني، ولد في بلاكنبرج، ودرس في ميونخ وبرلين ، كان مفكرا ودارسا لنشأة الحضارات الإنسانية وتطورها وأفولها، ومن أهم مؤلفاته كتاب "انحدار الغرب" " the decline of the West "، وكذلك كتاب البروسية والاشتراكية، و ساعة الحسم...

- **<u>مفهومه للحضارة</u>:**

يرى شبنجلر صاحب كتاب "انحلال الغرب" " The decline of the west " وهو من أهم الكتب الفكرية في العصر الحديث ، أن التاريخ مكون من كائنات حية عضوية هي الحضارات، إذ تشبه كل حضارة الكائن العضوي تمام التشابه، فميلاد الحضارات ونموها وازدهارها ثم أفولها ما هي إلا عملية بيولوجية تشبه ما يحدث للكائنات الحية، فتاريخ كل حضارة كتاريخ الإنسان سواء بسواء، وبذلك يكون التاريخ العام بمثابة الترجمة لحياة هذه الحضارات التي تعتبر تراكيب عضوية.

ولما كانت المراحل التي تمر بها أي حضارة (مولد ونمو وازدهار وانحلال) هي نفسها التي

تمر بها كل الحضارات، فانه بالا مكان التنبؤ بمستقبل أي حضارة . وبناء على ذلك تنبأ شبنجلر بزوال الحضارة الغربية، حتى أنه حدد عمرها من (900 م- 2400 م).

2- عوامل قيام الحضارة:

هناك عوامل كثيرة لقيام أي حضارة من الحضارات، وقد تختلف بين العرب والغرب في بعض منها نتيجة الاختلافات الفكرية والعقائدية بين هذين العالمين، ولكن الملاحظ أنها تتفق في عوامل جوهرية لا يمكن لأي حضارة أن تقوم بدونها وهي:

أ -الإنسان:

الذي مهما اختلفت أجناسه ومواقعه الجغرافية والطبيعية، فإنه يختص بخصائص جسمية وذهنية مكنته من التوصل إلى اكتشاف فوائد كثيرة في أشياء متعددة مما كان يحيط به في بيئته وعلى مرأى بصره منذ نشأته الأولى، حيث بدأ يتعامل مع الطبيعة ويكتشفها شيئا فشيئا، حيث سيطر على النار واكتشف المعادن، وبدأ في ابتكار الأشياء كصنع الأسلحة والأواني الفخارية وغيرها، وهذه الأشياء نفسها شحذت ذهنه، وأطلقت عقله فمضى يستزيد من الاكتشافات والابتكارات زمانا بعد زمان حتى تمكن مع نهاية العصر الحجري الحديث وبداية العصور التاريخية من إقامة إطار حضاري اجتماعي ومادي ضمن له الأمن والرزق المنتظم في ظل قبيلة متماسكة ومتعاون أعضاؤها بعضهم مع بعض، ويحكمها نظام معين، وهذه القبيلة هي التي كانت القاعدة الصلبة التي مهدت لرحلة الإنسان مع الحياة في ظل تطوره الحضاري المستمر والمتسارع.

ب -الدين أو (العقيدة) :

لقد جعل مالك بن نبي عنوان أحد محاور كتابه :" شروط النهضة" : أثر الفكرة الدينية في تكوين الحضارة ، وهو يؤكد أن شروط النهضة الثلاثة : الإنسان، والتراب، والوقت. لا يمكنها أن تحدث أثرا ولا أن تجلب للبشرية تحضرا ورقيا ما لم يكن هناك عنصر حاسم في الدفع بهذه الثلاثة إلى ميدان الإعمار. هذا العنصر اللاحم المركب لشتات العناصر (CATALISEUR) لن يكون أبدا سوى الدين بمفهومه الواسع عند كل الأمم.

فالعقيدة تعتبر من أهم العوامل التي تؤدي إلى قيام الحضارة، فلا حضارة دون عقيدة تدفعها

وتغذيها، ولإعطاء مثال على ذلك نرى الحضارة الإسلامية، حيث نجد صلة الإنسان المسلم بعقيدته صلة عضوية لا تنفصم عراها، ولا تقبل التجزئة لأنها نابعة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، مما يجعلها دستورا لحياة المسلم تنير بصيرته وتملأ قلبه، وتجعل الإنسان في حالة وفاق مع سنن الكون.

وبالمقابل فإن الحضارات الأخرى كانت لها عقائدها المختلفة والتي تمثل عاملا أساسيا في قيام الحضارة رغم ما دخلها من تحريف، بعد أن كانت ديانات صحيحة تدعو إلى التوحيد، وذلك بفعل الإنسان الذي أدخل فيها خرافات وهرطقات ابتدعها أو أخذها من مذاهب فلسفية شتى وصارت مع الزمن جزء من تلك الديانات وذهبت بمضمونها الأصلي وتحولت إلى متناقضات ولكن رغم هذه المتناقضات فإن هذه الحضارات القديمة يمثل فيها الدين جانبا أساسيا حيث يدخل في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية.

ج- العوامل الطبيعية والبيئية:

تعتبر من العوامل التي تسمح، أو تساعد، على قيام نشاط حضاري فعلي في أي حضارة من الحضارات. فالظروف الطبيعية، الجيولوجية والمناخية، وتحديدا الموقع الجغرافي، هي التي سمحت بتطور حياة الإنسان الأول ووفرت إمكانيات نشوء حضارته. فالشروط الطبيعية والبيئية هي التي جعلت بعض أحواض الأنهر وأوديتها الخصبة والمعتدلة المكان الملائم لقيام الجماعة البشرية الأولى ولتشكل حضاري حقيقي، فحضارة بلاد النهرين مثلا كانت أولى الحضارات في العالم القديم التي ظهرت عند ملتقى ومصب دجلة والفرات في جنوب العراق، حيث توفرت للإنسان السومري آنذاك البيئة الملائمة لقيام حضارته ولكن بعد أن بذل جهودا جبارة في تحديه لتلك البيئة ، وفي وادي النيل في مصر، وفي الوادي الهندي، والصين وغيرها .